جامعة المنصـورة

كليــة الآداب

_

العقيدة والسلوك عند عبد الكريم القشيرى

(٣٧٦ هـ- ٤٦٥هـ)

الدكتورة

فاطمة فؤاد عبد الحميد

أستاذ الفلسفة المساعد

كلية الآداب ـ جامعة بنها

مجــلة كلــية الآداب – جامعــة المنصــورة

العدد الخمسون – يناير ٢٠١٢

العقيدة والسلوك عند عبد الكريم القشيري

(٣٧٦هـ - ٤٦٥هـ)

د. فاطمة فؤاد عبد الحميد

مقدمة:

يمكننا القول أن الفكر الإسلامي يموج بالعديد من التيارات الفكرية المختلفة في المنهج والأداة، لكنهم متفقون علي أن الموضوع هو معرفة الله تعالي من خلال أسمائه وصفاته، فبعضهم قد ذهب إلي أن معرفة الله تعالي تكون عن طريق العقل خصوصاً وأن الله تعالي قد ميز هذا الإنسان بالعقل علي سائر المخلوقات، وعلي أساس هذا العقل يتم معرفة الخير والشر، أو الثواب والعقاب وما يلزمهما من جزاء – جنة ونار – وهذا هو طريق الفلاسفة وعلماء الكلام المعتزلين، ويلجأ أصحاب هذا الطريق إلي تأويل الآيات المتشابهة في القرآن الكريم من أجل محاولة التوفيق بين العقل والنقل، وفريق ثاني يعرف الله تعالي عن طريق الآثار الدينية والالتزام بها بدون أي محاولة للتأويل ويمثل هذا الفريق الاتجاه السلفي الذي يرفض القياس في الشرع، وهؤلاء يشككون في قدره العقل علي الوصول إلي العلم اليقين (المعرفة بالله تعالي)، وهذا ما أكده الإمام مالك بن أنس عندما سئيل عن معني الاستواء فقال (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)[١]، أما الفريق الثالث وهم أصحاب الاتجاه الصوفي الذي عرف الله عن طريق الكشف الصوفي، أو الذوق، أو القلب، حيث قال بعضهم – ذو النون المصري – "عرفت الله بالله، وعرفت ما سوي الله برسول الله صلي الله عليه وسلم"، وأهمية هذه العبارة ترجع إلي أن موضوع المعرفة الصوفية هو الحق تعالي وحده، وأنه لا سبيل للصوفي لمعرفة الله إلا الله نفسه وليس العقل [٢].

وهناك فريق رابع جمع بين المعرفة الذوقية، والمعرفة العقلية في معرفة الله تعالي، وكذلك الجمع بين المعرفة العقلية، والمعرفة الحسية في أمور أخرى، ويمثل هذا الفريق الاتجاه الأشعري الذي أرسي قواعده أبو حسن الأشعري، ومن بعده القشيري، وأبو المعالي الجويني، وأبو حامد الغزالي وغيرهم.

هذا الاتجاه هو الاتجاه الوسط بين العقليين والحسيين وكذلك بين أصحاب النظر العقلي وأصحاب منهج الذوق، والوجدان، وقد جعل الأشاعرة العقل خادماً للنقل، وتوسطوا بين الاتجاهات السابقة، يقول الغزالي: (فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر فينظر إلي كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق، فيظن أنه هو فيقول أنا الحق وهو غالط غلط النصاري) (٣).

ومن ثم فقد تأسس هذا المذهب الأشعري أو الوسطي علي يد قمة من أتقياء المسلمين وأكثرهم ورعاً، وحباً للعلم ومحاربة للبدع وقد ولد أمامهم أبو الحسن الأشعري، عام ٢٧٠هـ، والباقلاني ٤٠٣هـ، والقشيري ٤٦٥هـ وأبو المعالي الجويني ٤٧٨هـ، والغزالي ٥٠٥هـ، وقد تعرضت البلاد للفتنة وخصوصاً في مدينة نيسابور قاعدة بلاد خراسان ترتب عليها خروج إمام الحرمين، والحافظ البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري من نيسابور وكل من ذهب مذهب أبو الحسن الأشعري.

ولقد ركز هذا البحث علي العقيدة والسلوك عند القشيري بالذات لأنه ذهب إلي أن العقيدة والسلوك – الشريعة والحقيقة – وجهان لعملة واحدة لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر وأن التصوف ليس شيئا زائداً علي ما في القرآن أو سنة رسول الله ﷺ بل هو تجسيد لجانب عظيم من الإسلام أهمل نتيجة توغل

الفقهاء يعد السلف الصالح في فروع الفقه، وإهمال الجانب السلوكي الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والسلف الصالح (٤).

وفكر القشيري جاء معتدلاً رغم انتشار البدع التي حاول بكل الطرق محاربتها والتي علي آثارها تم حبسه "وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه، واغتراراً بما ارتادوه، أشفقت علي القلوب أن تحسب أن هذا الأمر علي هذه الجملة بين قواعده، وعلي هذا النحو سار سلفه، فوجهت هذه الرسالة إليكم (أكرمكم الله) وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاور إليه من مواجيدهم" (٥).

القشيري في سطور:

قبل أن نبدأ الحديث عن آرائه في العقيدة والسلوك كان علينا أن نتعرض لمعرفة المزيد عن حياته، وأهم مؤلفاته التي تتميز بسعة الاطلاع، وغزارة المعرفة، ولماذا لقب بزين الإسلام، هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسايوري ولد في شهر ربيع الأول ٣٧٦هـ - ٩٨٦م ببلدة أستواء وتوفي في نيسابور ربيع الآخرعام ٤٦٥ هـ / ١٧٥٧م، وقد دفن إلي جانب أستاذه الشيخ أبي علي الدقاق النيسايوري نسبة إلي نيسايور أو شابور وهي عاصمة خراسان من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطي مع بلخ، وهراة، ومرو وهي مسقط رأسي عمر الخيام، وفريد الدين العطار (٦).

أخذ الفقه عن أبي بكر محمد بن بكر الطوسي وعلم الكلام عن الأستاذ أبي بكر ابن فروك ....، وأخذ التصوف عن أستاذه أبي علي الدقاق وكان فقيها بارعا أصوليا محققا متكلما سنيا محدثا حافظاً...، وكان يعرف الأصول علي مذهب الأشعري، والفروع علي مذهب الشافعي ..... وبعد وفاة الأستاذ الدقاق عاشر أبا عبد الرحمن السلمي إلي أن صار أستاذ خراسان ... وخرج إلي الحج

في رفقة أبو محمد الجويني والشيخ أحمد البيهقي، وجماعة مع المشاهير فسمع منهم الحديث ببغداد والحجاز... وعقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.... ومن جملة أحواله ما حض به من المحنة في الدين والاعتقاد وظهور التعصب بين الفريقين – المعتزلة والسلفي .... حتى أدي ذلك إلي رفع المجالس وتفرق شمل الأصحاب وكان هو المقصود من بينهم (٧).

أما عن تصانيف الأستاذ فهي كما ذكرنا كثيرة ومتعددة قد تصل إلي ٣١ رسالة أو كتاب وهي:

١- التفسير الكبير.

٢- الرسالة المشهورة.

٣- التحبير في التذكير.

٤- آداب الصوفية.

٥- لطائف الإشارات.

٦- كتاب الجواهر.

٧- عيون الأجوبة في أصول الأسئلة.

٨- كتاب المناجاة.

٩- كتاب نكت أولي النهي.

١٠- كتاب نحو القلوب الكبير.

١١- نحو القلوب.

١٢- أحكام السماع.

١٣- كتابة الأربعين في الحديث.

١٤- استفاضة المرادات.

١٥- بلغة المقاصد في التصوف.

١٦- ترتيب السلوك في طريق الله تعالي.

١٧- التوحيد النبوي.

١٨- التيسير في علم التفسير.

١٩- حياة الأرواح والدليل إلي طريق الصلاح.

٢٠- ديوان شعر.

٢١- الذكر والذاكر.

٢٢- سيرة المشايخ.

٢٣- شرح الأسماء الحسني.

٢٤- شكاية أهل السنة وهي رسالة موجودة في طبقات الشافعية ص٢، ص ٢٧٥.

٢٥- عيون الأجوبة.

٢٦- الفصول في الأصول.

٢٧- اللمع في الاعتقاد.

٢٨- مجالس أبي علي الحسن الدقاق.

٢٩- المعراج.

٣٠- منشور الخطاب في شهود الألباب.

٣١- ناسخ الحديث ومنسوخه [٨].

أما عن الدراسات التي تناولت القشيري هي:-

١- محمد حسن فير: الرسائل القشيرية.

٢- قاسم السامرائي: مجلة المجتمع العلمي العراقي المجلد ١٧، ١٨، لعام ١٩٦٩م.

٣- إبراهيم بسيوني: الإمام القشيري، سيرته، أثاره، مذهبه طبع مصر ١٩٧٢م.

٤- أحمد علم الدين الجندي: مجلة مجمع اللغة العربية عام ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، جـ١،ص.

٥- أبو العلا عفيفي: بحثا عن القشيري، موسوعة تراث الإنسانية.

٦- إمام حنفي سيد عبد الله: الآراء الكلامية والصوفية عند القشيري، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٥م [٩].

ولقد مكنت الرحلات الطويلة التي قام بها القشيري الاتصال بعدد لا بأس به من أصحاب الاتجاهات الدينية المختلفة والإطلاع علي العديد من المؤلفات الدينية المختلفة سواء في علم الكلام، أو التصوف، كما أنه مارس التصوف علما وعملاً (فقد التقي أبو الحسن علي الهجويري صاحب كتاب كشف المحجوب (٣٨٧- ٥٨٢هـ) بمعاصره أبي القاسم القشيري (٤٦٥هـ).... وكتاب كشف المحجوب يشبه إلي حد كبير كتاب اللمع لأبي نصر السراج الطوسي – سواء في المنهج العام، أو المواد التي تناولها كل من مؤلفيهما، مما يوضح أن الهجويري

اعتمد علي اللمع، كما يتضمن كشف المحجوب ترجمة فارسية لبعض فصول من الرسالة القشيرية، مما يؤكد اعتماد الهجويري اعتمادا كبيراً علي كتاب طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (١٠).

محنة القشيري:

لقد وقعت للقشيري محنة آلت به إلي الخروج من نيسابور ومعه إمام الحرمين الجويني، والحافظ البيهقي وذلك في عهد السلطان طغرلبك السلجوفي وكان رجلا حنفياً سنيا خيرا عاد لا محبا لأهل العلم... ولكن كان لهذا السلطان وزير سوء وهو أبو منصور محمد الكندري كان معتزليا رافضيا كان يقول بخلق الأفعال، وغيره من قبائح القدرية وسب الشيخين، وسائر الصحابة، وكان ابن الموفق دارة مجتمع العلماء وملتقي الأئمة من الحنفية، والشافعية فعظم ذلك علي الكندري وحسن للسلطان بلعن المبتدعة فاتخذ الكندري من ذلك ذريعة إلي ذكر الأشعرية، وصار يقصدهم بالإهانة والأذى ومنعهم من الوعظ والتدريس في المساجد، وسب أهل السنة واستعان بطائفة من المعتزلة الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبي حنيفة أشربوا في قلوبهم فضائح القدرية، فقد كان السلطان محجبا إلا بواسطة ذلك الوزير حتى أن أصدر أمراً بالقبض علي الرئيس والفرائي والأستاذ القشيري، وإمام الحرمين الجويني وأبي سهل بن الموفق ونفيهم ومنعهم من المحافل.... وبعد أن توفي السلطان طغرلبك وتولي ابنه من بعده (ألب أرسلان).... لم يلبث الكندري وزير السلطان إلا يسيراً وقتل شر قتلة وجعل كل جزء من أجزائه في ناحية، ولمواجهة هذه الفتنة اتفق القشيري وزملائه علي أن يعلوا القشيرى المنبر ويتكلم عليهم فقال يا أهل خراسان بلادكم بلادكم أن الكندري عزيمكم قطع إربا أربا وفرقت أعضاؤه وها أنا أشاهده الساعة وأنشد:

عميد الملك ساعدك الليالي * علي ما شئت من درك المعالي**

فلـم يـك منـك شـيء غيـر أمـر *** يلعـن المسـلمين علـي التـوالي
فقابلــك الــبلاء بمــا تلاقــي *** قـذف مـا تسـتحق مـن الوبـال (١١)

١ - التوحيد:

يقول الحق تعالي في كتابه الكريم [**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ حُنَفَـاءَ**] (١٢)، أي موحدين لا يشركون شيئا ولا يكون شـيء من الحركات والسكنات إلا الله كما يقول القرطبي والفخر الرازي والقشيري(١٣).

يعد القشيري من أبرز من أقام حياته الأخلاقية علي أساس الجمع بين العقيدة والسلوك أو بين الباطن والظاهر، ولا رأي الراءون مثله في كماله وبراعته جمع بين علم الشريعة والحقيقة وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة (١٤)، وهذا يعني أن الصوفية علي العموم، والقشيري علي الخصوص عندما تناولوا مسألة التوحيد كان تركيزه في كشف الحجب والأستار عن النفس وخلوها من الاكدار بالمجاهدات، والطاعات، والعبادات حتى تنعم برضا الله تعالي ونيل المعارف والأسرار الإلهية، ولهذا اقتنع بالجانب العملي في التوحيد ذلك لأن التصوف هو تجربة ذاتية ذوقية لا يشعر بها إلا من ذاق هذه التجربة يشعر فيها ضعف حاله وعظمه الله تعالي وتوحيده، ومن ثم فإن الصوفية تفهموا معني التوحيد من خلال الكتاب والسنة وأدركوا أخلاقها بقلوبهم وأذواقهم وتفهموها بعقولهم.

وقد ركز القشيري، وابن عربي، والشيخ زكريا الأنصاري علي أن الشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره، والحقيقة أيضاً شريعة من حيث أن المعارف به سبحانه أيضاً وجبت بأمره أو علي حد تعبير ابن عربي عين الحقيقة والشريعة حق، ولكل حق حقيقة بحق الشريعة وجود عينها، وحقيقتها ما ينزل في الشهود

منزله عينها في باطن الأمر، فتكون في الباطن كما هي في الظاهر من غير مزيد [١٥].

وقد شغلت قضية التوحيد فكر العديد من الفرق الإسلامية، وتساءلوا هل التوحيد هو الإيمان أي الإقرار المجرد، قول لا إله إلا الله بدون الطاعة والعبادات كما قالت الكرامية، أم كما قالت الأشعرية بأنه هو التصديق بالله تعالي وأن جميع المسلمين مؤمنون مسلمون في الظاهر ويحسن الظن بهم وأنهم يعرفون الله تعالي بقلوبهم، ومن ثم فإن التمييز بين المؤمن وبين الكافر يكون علي أساس الإقرار عند الكرامية.... أما الإيمان عند أصحاب الحديث جميع الطاعات فرضها ونفلها والانتهاء عن جميع ما نهي الله عنه تحريما وتنزيها، وعند أبي الحسن الأشعري الإيمان هو التصديق وهذا مذهب أبي حنيفة، رحمه الله والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله تعالي في أخباره وأنهم عارفون بالله مستدلون عليه بآياته فأما ما تنطوي عليه العقائد ويستكن في القلوب من اليقين والشك فالله تعالي أعلم به وليس لأحد علي ما في قلب أحد إطلاع فنحن نحكم لجميع عوام المسلمين بأنهم مؤمنون مسلمون في الظاهر ونحسن الظن بهم ونعتقد أن لهم نظراً واستدلالا في أفعال الله وأنهم يعرفونه سبحانه والله أعلم بما في قلوبهم [١٦].

ويذهب القشيري أن الإقرار كما تقول الكرامية هو يمثل الجانب الظاهري عنده في الإيمان، أما الإيمان الحقيقي هو يمثل الجانب الباطني أي السلوك، وفي هذا يقول القشيري وليس كل ما يحكم له علي الناس بأحكام المسلمين هو عين الإيمان فإن الدار إذا كانت دار إسلام ووجدنا شخصا ليس معه عيار الكفار فإنا نأكل ذبيحته ونصلي خلفه ولو وجدنا ميتا لغسلناه ونصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين ونعقد معه عقد المصاهرة وأن لم تسمع منه الإقرار وكونه يري المسلمين بالاتفاق ليس بإيمان وبذلك تجري عليه أحكام المؤمنين [١٧].

فالإيمان هو عقيدة وسلوك، والعقيدة هي الإقرار بالتوحيد، ومن ثم فإن الإقرار هو الإيمان من ناحية الظاهر كما يقول القشيري، أما الجانب الباطني من صدق وكذب لا يعلم حقيقته إلا الله تعالي، لهذا لا بد من الربط بين الجانبين الظاهري والباطني، وفي هذا يقول القشيري: علم أن الإقرار هو الإيمان (قيل) هذا كسؤال الكرامية.... فجميع من لا يقول أن الإيمان هو الإقرار المجرد مشتركون في الجواب عن هذا وجواب الجمهور أنا بإقراره نحكم في الظاهر بإيمانه والله أعلم بحقيقة حاله في صدقه وكذبه وهذا كقوله تعالي [**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**] {البقرة: ٢٢٢} (١٩،١٨)

كما يشترط الأشعري علي لسان القشيري أن العبد يجب عليه أن يعرف معبوده من خلال الإقرار بتوحيده ومعرفة صفاته وأسمائه، ونقول أن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا من علم الكلام بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون يجب علي المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي تصبها علي توحيد ،استحقاق نعوت الربوبية (٢٠).

ويدافع القشيري عن الحسن الأشعري في استعماله بعض ألفاظ المتكلمين علي سبيل التقريب وتسهيل الفهم علي المتعلمين وليس من باب البدعة كما اتهمه البعض مستدلا في ذلك بما استخدمه الفقهاء المتأخرين من ألفاظ العلة والمعلول من أجل التيسير والتفهيم، ومن هذا يقول القشيري: استعمال ألفاظ المتكلمين من الجوهر والعرض وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلي معرفة الله عز وجل وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ علي سبيل التقريب والتسهيل علي المتعلمين، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هذه الألفاظ لم يكن في معارفهم خلل والخلق الذين استعملوا هذه الألفاظ لم يكن ذلك منهم لطريق الحق مباينة ولا في الدين بدعة كما أن المتأخرين من الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين استعملوا

ألفاظ الفقهاء من لفظ العلة والمعلول والقياس وغيره ثم لم يكن استعمالهم بذلك بدعة [٢١].

لقد كان القشيري والهجويري من الرواد الأوائل وكانت لهما جهود لا تنكر في سبيل إعادة التصوف إلي سيرته الأولي وتنقيته مما علق به من شوائب فقد ألفا كتابيهما في وقت كان التصوف فيه قد بلغ حدا جعل الكثيرين يأخذون أنفسهم بالأزورار عنه والنفور من أهله، وتوجيه المطاعن إليه، وإلقاء الشبهات علي تعاليمه.... وأن من يقرأ مقدمتي (الرسالة) و(كشف المحجوب) يقف علي مدى أسف مؤليفهما لانهيار التصوف في عصرهما ولهفتهما علي العودة به إلي سابق عهده، ويلمس الحرارة والأخلاق فيما كتبه كل منهما.... فهذه الصورة المشوهة للتصوف هي التي دفعت الهجويري – ومعه القشيري – لأن يرسم في كتابه صورة واضحة للتصوف بين فيها أصوله النظرية والعملية ويؤيد كل أصل منها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ويفرق فيها بين الشريعة والحقيقة ويوائم بين التكاليف الشرعية والمعاني الصوفية التي تنطوي عليها.... وقد كان لهاتين المحاولتين من القشيري والهجويري أثرهما في تنبيه الأذهان إلي الخطر الذي حاق بالتصوف، والدعوة إلي تنقيته وتصفيته مما لحق به من شوائب، وقد قيض لهاتين المحاولتين الصادقتين أن تؤتيا أكلهما علي يد الإمام الغزالي الذي جاء بعدهما وبذل جهده لإدخال التصوف في صلب الإسلام السني [٢٢].

ويذهب القشيري ومعه أغلب الصوفية علي أن الناس في الإيمان علي درجتين، وفي هذا يقول أبو سعيد الخراز: فمنهم من يبدؤه الله تعالي بالنعمة والمنة والموهبة، فيهب له الإنابة، ويحبب إليه البر ويسهل عليه الطاعة ... فإذا تمكنت الروح في قلبه واستعذب الأعمال الصالحة حمل عليه، بعد ذلك البلاء، والاختيار والمصائب والضراء والعسر والشدة، ثم تؤخذ منه الحلاوة التي كان يجدها والنشاط

في البر فتثقل عليه الطاعة بعد خفتها، ويجد المرارة بعد الحلاوة والكسل بعد النشاط.

أما البعد الثاني: فإنه يبدأ بالصدق، والأعمال الصالحة، وأخلاق الصدق ثم يعمل في ذلك ما شاء الله عز وجل، فتأتيه الكرامة بعد ذلك، فيعطيه الله تعالي ما لم يرجه ويحتسبه [٢٣].

فالعقيدة بداية والسلوك ثمرة وغاية، ولن يصل العبد إلي ما يشتهيه ويحبه إلا بعد الإقرار والتصديق بالعقيدة، وهذا ما أكد عليه القشيري بفكره المعتدل، كما نبه علي ضرورة التلازم والترابط بين العقيدة، والسلوك في الظاهر والباطن حتى ينعم العبد بحال المكاشفة للأسرار الإلهية، وهذا ما أكده الدسوقي في قوله أيضاً: والشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، والشريعة أصل والحقيقة فرع (٢٣).

ومعرفة الله عند القشيري تكون من خلال الأسماء والصفات، ولكنه أهتم بالأسماء الإلهية التي لها موجبات خاصة في البيئة الصوفية كالحق والولي والمحيي والبديع والجميل والجليل ونحوها [٢٤]، وكان شرح (البديع) فرصة طيبة انتهزها القشيري لينادي بما عرف عنه من مقاومة شديدة وعداء صارخ للبدعة والمبتدعين: البديع معناه المبدع، وكل من فعل فعلاً لم يسبق إليه فهو مبدع، ومنه سميت البدعة لأنها قول لم يسبق إليه قائله، فالله تعالي مبدع الأشياء لا علي مثال تقدم.... ومن آداب من عرف ربه بهذا الاسم أن يجتنب البدعة، ويلازم السنة، فالبدعة كل ما ليس له أصل في الكتاب والسنة وإجماع الأمة(٢٥).

ومن ثم فإن فكرة التوحيد ليست أمراً نظرياً يتعقله الصوفي وإنما هي تجربة نفسية يخوضها السالك يستشعر فيها ضعف الحدث، وعظمة الواحد، ويذوق وحدة الذات يقيناً قوياً أو شهوداً بصيرياً تمحي فيه الدلائل وتفني الشواهد ويكون الحق

واحداً والخلق عن الشعور بذاته فانيا والبقاء تحت أنوار الواحدية (٢٦)، ويستخدم القشيري في الاستدلال علي التوحيد الآيات القرآنية التي تعبر عن أسمائه وصفاته منها قوله تعالي [**وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ**] (٢٧)، وصفها بالحسنى لما تتضمنه وتدل عليه من صفات العلو والعظمة والكبرياء........ والداعي بها من جزيل الثواب وحسن المآب.... فمن عرف أسماء الله تعالي يجب اتصافه بها، فتعلو همته عن عبودية غير الله، فتتم بذلك عبوديته، ومن عرف اسم ربه نسي اسم نفسه، وتنعم بروح أنسه قبل وصوله إلي دار قدسه وسميت رتبته وعلت في الدارين منزلته، فمن أجل قدر الله أجل الله قدره (٢٨).

كما يذهب القشيري إلي أن أسماء الله الحسني بعضها يصح أن يوصف بها خلقه ما عدا اسم (الله) فإنه غير مشتق وهو أحد أقوال الخليل، ويحكي أن الشافعي رضي الله عنه أنه قال به وكثير من أهل الحق، ولم يسم به غيره تعالي وتقدس، ولهذا قال بعض المشايخ كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق به إلا هذا الاسم فإنه للتعلق دون التخلق (٢٩)، فالعقول محجوبه عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه، وإن كانت واقفة علي الواجب والجائز والممتنع في ذاته، فاللعقل العرفان بالجملة، وبالشرع الإطلاق والبيان في الأخبار (٣٠).

أن معرفة العبد بخالقه واستخدام النظر والعلم واليقين أمراً يتفق فيه القشيري مع الأصوليين، فهذه دعوة أخرى إلي إعمال العقل والحث علي التأمل والنظر في الكون من أجل معرفة منظم، ومدبر هذا الكون، وهو في ذلك يخالف فرقة الحشوية ويتفق مع أهل السنة والجماعة، إذ يقول: كيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر وأنهم رضوا بالتقليد حاش الله أن يكون ذلك وصفهم ولقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم مشتغلين بما عرفوا من الحق

وسمعوا من الرسول ﷺ من أوصاف المعبود وتأملوه من الأدلة المنصوبة في القرآن، وأخبار الرسول ﷺ في مسائل التوحيد (٣١).

ولما كانت العقيدة هي الإقرار وأن هذا الإقرار لا يكفي وحده بل لابد من التحقق بكل اسم من أسماء الله تعالي ما عدا بعض الأسماء مثل الله، الحي، المميت. ولهذا قال الحق تعالي "ليس كمثله شيء" قال الواسطي ليس كذاته ذات، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وهذا القول – يجمع جوامع مسائل التوحيد، ويوضح القشيري ذلك بقوله: وكل من ذكر الله باسم من أسمائه، وأثني عليه بنعت من نعوته لزمه أن يطالب نفسه بمقتضي ذلك الاسم، وموجب ذلك الذكر (٣٢).

ويذهب القشيري إلي أن الذين يعبدون غير الله تعالي أموات غير أحياء، وأن إعمال العقل والنظر في الكون وتدبر أموره من أهم الأمور التي دعي إليها القرآن الكريم، إذ تفرد الحق بالإبداع والإيجاد، وتقدس عن الأمثال والأنداد، إذ يقول الحق تعالي [**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**] .... ولما كانت أمور العالم في الترتيب منسقة فقد دل ذلك علي أنها حاصلة بتقدير مدبر حكيم، فالسماء في علوها تدور علي نظام أفلاكها، وليس لها عمد لإمساكها، والأرض مستقرة بأقطارها علي ترتيب ليلها ونهارها، والشمس، والقمر، والنجوم السائدة تدور في بروج .... ذلك لتقدير العزيز العليم علامة وعلي وحدانية دلالة (٣٣).

ولقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلي وجوب النظر العقلي، وإفساد التقليد في وجوه كثيرة، ذلك لأنه لا يقوم علي حجة أو يقين، وأن تأكيد التوحيد لا يكون إلا من خلال أعمال العقل، وعدم تعلق القلب بغير الخالق، وهذا هو أساس التوحيد عند القشيري، إذ يقول الحق تعالي [**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ**

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ] ، ولقد دلت هذه الآية علي العديد من المعاني:

١- فساد القول بالتقليد.

٢- وجوب إقامة الحجة والدليل.

٣- توحيد المعبود.

٤- إثبات الكسب للعبيد إذ لولاه لم يتوجه عليهم اللوم والعتاب.

٥- عدم تعلق القلب بمخلوق أو توهم من غير حصول شيء فقد دخل في عمار هؤلاء.

٦- أن الذين توحيد الحق وتفرد الله ووحدانيته.

٧- إن الدذين أعجزهم الله عن إقامة برهان علي الهة غير الله هم (الذين عدموا العلم لإعراضهم عن النظر، ولو وضعوا النظر موضعه لوجب لهم العلم واليقين لا محالة فالنظر العقلي أمر واجب.

٨- إن العلوم الدينية كلها كسبيه يتعود عليها الإنسان بالممارسة والتدريب فالتوحيد في كل شريعة واحد، والتعبد واجب، والأفعال قابله للنسخ والتبديل معرضه أما التوحيد، وطريق الوصول إليه، فلا يجوز في ذلك النسخ والتبديل (٣٤).

فوجب النظر العقلي، ومحاربة التقليد واعتبار العلوم الدينية كسبيه والطريق إليها العقل والنقل أمر يتفق فيه القشيري باعتباره متكلم أشعري مع المعتزلة، وهذا ما أكد عليه الجويني بقوله: اجتمعت الأمة علي وجوب معرفة الباري تعالي، واستبان بالعقل أنه لا يتأتي الوصول إلي اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلي الواجب إلا به فهو واجب(٣٥).

وكذلك قال الغزالـي: فـإن مـن لـيس لـه قـدم راسـخ فـي المعقولات ربمـا لا يتميز له أحدهما عن الآخر فينظر إلي كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق، فيظن أنه هو فيقول أنا الحق وهو غلط النصارى، حيث رأوا ذلك في ذات عيسي عليه السلام فقالوا هو الإلـه، بل غلط من ينظر إلي إمرأة قد انطبع فيها صورة متلونة فيظن أن تلك الصورة المرأة، وأن ذلك اللون لون المرأة وهيهات، بل المرأة في ذاتها لا لون لها وشأنها قبول صور الألوان (٣٦).

فتوحيد الله تعالي هو الإقرار بالذات الإلهية من خلال الاعتراف بأسمائه وصفاته، إذ روي في الخبر عن النبي ﷺ أنـه قـال: اسم الله الأعظم فـي هـاتين الآيتين: [**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**] سورة البقرة: أية ١٦٣، وفاتحة آل عمران [**الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**] سورة آل عمران أية ١، ٢ ،وروي عن النبي ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول اللهم أني أسالك بأني أشهد أنك أن الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد، فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذ سئل بـه أعطـي وإذا دعي به أجاب (٣٧).

وتتجلـي العقيـدة مرتبطـة بالسـلوك عنـد القشـيري فـي توضـيحه لمفهـوم التوحيد، إذ أنه بين لنا أن التوحيد يقوم علي ثلاثة معان، والتوحيد هو الحكم بأنـه سبحانه وتعـالي واحـد، وذلـك الحكم يكـون بـالقول، وبـالعلم، وبالإشـارة بالإصـبع، والتوحيد ثلاثة: توحيد الحق . سبحانه وتعالي لنفسـه – لا قسم لـه لذاته فإنـه غير متجزئ – وهو علمه بأنـه واحد وإخباره بأنـه واحد وتوحيد العبد للحق وهو بهذا المعنـي ، وتوحيد الحق للعبد وهو إعطاؤه التوحيد وتوفيقه لـه – الهداية – (٣٨)، وإيماناً من أن لكل علة معلول ولكل سبب مسبب، يذهب القشيري إلي أن الحق تعـالي هـو مسـبب الأسـباب ولـيس هنـاك سـبب بـدون مسـبب وهـو الحـق تعـالي،

استناداً إلي ما قاله ذو النون في التوحيد أن "قدرة الله تعالي في الأشياء بلا مزاج، وضعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه مهما تصور في نفسك شيء فالله عز وجل بخلافه... وقال بعضهم ينبغي أن يعلم الموحد له والطالب له أن توحيده إياه به وكذا طلبه إياه به ويعلم أن وجوده إياه منه، فهو المبتدئ بالفضل والمتمم له تبارك الله رب العالمين" (٣٩).

مما سبق يتضح لنا كيف أن القشيري سلك طريق الوسط أو طريق الجمع بين العقل والنقل في توحيد الذات الإلهية وذلك باستخدام البرهان العقلي القائل بأن لكل علة معلول، وكذلك طريق السمع (النقل) القائل أن الله تعالي هو مصدر الهداية والتوحيد.

والتوكل علي الله تعالي هو من أهم الأمور التي يبدو فيها ربط العقيدة بالسلوك لتفرده تعالي بتحقيق طلب الرزق كما يتفرد بأنه لم يشاركه أحد في خلقه، وفي هذا يقول القشيري:" من عرف أنه الذي لا يطعم وهو يطعم بتوجهه في طلب الرزق إليه، ويتوكل في جميع أحوال عليه، ولا يتهمه في رزقه فيتسعين بغيره، فإنه كما لم يشاركه أحد في خلقه لا يشاركه أحد رزقه..... ومن عرف أن الذي يصمد إليه في الحوائج شكا إليه فافته "(٤٠).

فالتوحيد لم يكن عقيدة فقط قائمة علي الإقرار عند القشيري، وإنما التوحيد عقيدة وسلوك، وتوحيد الله تعالي، كما سبق أن ذكر يكون من خلال معرفة الله تعالي بأسمائه وصفاته، والصفات نوعان صفات ذات لا يوصف بها إلا الحق تعالي، وصفات أفعال مثل صفات الأول والآخر والظاهر والباطن،وقد قيل إن هذه الأسماء إشارة إلي صفات أفعال فهو الاول بإحسانه والآخر بغفرانه، والظاهر بنعمته، والباطن برحمته ، وقيل الأول بحسن تعريفنا إياه إذا لولا توفيقه وهدايته أو لا لما عرفناه، وقيل هو الأول بالهداية، والآخر بالرعاية والظاهر بالكفاية، والباطن

بالعناية [٤١]، ومهما نظرت إلي ترتيب السلوك ولاحظت مراتب منازل السائرين إليه، فهو آخر إذ هو آخر ما يرتقي إليه درجات العارفين، وكل معرفته تحصل معرفته فهي مرصاة إلي معرفته والمنزل الأقصي هو معرفة الله تعالي فهو آخر بالإضافة إلي السلوك أول بالإضافة إلي الوجود، فمنه المبدأ أولاً وإليه المرجع والمصير [٤٢].

ويتفق القشيري مع شيخه الأشعري في الرد علي المعتزلة والخوارج والجهمية وغيرهم من الفرق التي اعتبرها من أهل البدع والضلال، وأن طريق الأشعري جاء للرد عليهم وكشف فسقهم وتجاوزهم حدود الدين في بعض الأمور من وجهة نظره، وهذا ما أبرزه في كتابه شكاية أهل السنة: فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية وأوردوا الشبه انتدب أئمة السنة لمخالفتهم والانتصار للمسلمين بمباينه طريقتهم فلما أشفقوا علي القلوب أن تخامرهم شبههم شرعوا في الرد عليهم وكشف فسقهم وأجابوهم عن أسئلتهم وتحاموا عن دين الله بإيضاح الحجاج ولما قال الله تعالى[**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ**] {النحل:١٢٥}تأدبوا بأدبه سبحانه ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله سبحانه في محكم التنزيل"[٤٣].

ويعود ويؤكد القشيري في رسالة شكايه أهل السنة علي محاربة البدع والضلال وكل من قال بأن الاشتغال بعلم الكلام من البدع، إذ أن استخدام العقل من أهم أساسيات العقيدة وربطها بالسلوك ولا يحارب علم الكلام إلا من ركن إلي التقليد وكان ذلك من باب الجهل وليس من باب العلم، وفي هذا يقول القشيري: والعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام والآيات التي في الأحكام الشرعية والآيات التي يجدها تؤمن علي ذلك وتزني بكثير [٤٤].

أهل العلم والدراية عند القشيري هم أفضل من أهل التقليد والجهل، ولهذا لا يركن إلي البدع والضلالات ويحارب علم الكلام: إلا رجلين جاهل ركن إلي التقليد وشق عليه سلوك أهل التحصيل وضل عن طريق أهل النظر والناس أعداء ما جهلوا فلما انتهي عن التحقيق بهذا العلم نهي الناس ليضل غيره كما ضل ، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي علي بدع خفية يلبس علي الناس عوار مذهبه وتعمي عليهم فضائح طويته وعقيدته ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم ويظهرون للناس قبح مقالاتهم..... وقد قال الله تعالي [**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**] (٤٥).

فحياة القلوب لا تكون إلا بالعلم واليقين ولا يكون ذلك إلا بالمجاهدة والرياضات العملية حتى ينعم هذا القلب بالأنوار الإلهية، وحول هذا المعني يقول القشيري في تفسير قوله تعالي: [**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**] أن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه بذبح نفسه، فمن ذبح نفسه بالمجاهدات حيي قلبه بأنوار المشاهدات، وكذلك من أراد الله حياة ذكره في الأبدال أمات في الدنيا ذكره بالخمول، وفي موضوع آخر يقول الحق تعالي [**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**] (٤٦).

ويعد القشيري من المتكلمين الذين لا يرون التقليد في أي شيء مطلقاً، لا في العقائد ولا في غيرها، وهو يتفق مع روح الإسلام التي تأبي التقليد الأعمي وعدم إعمال الفكر والعقل واعتماد النظر والفهم طريقا للإيمان، والعمل، ويصف المقلد بما وصف الله به بني إسرائيل[**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**]{الجمعة:٥} " فيقول: ويلحق بهؤلاء في الوعيد – من حيث الإشارة – الموسومون بالتقليد في أي معني شئت في علم الأصول، مما طريقة أدلة

العقول، وفي هذه الطريقة مما طريقة المنازلات يقصد بذلك التصوف فلا يري فيه هو الآخر التقليد، لأن التجربة الصوفية تختلف من صوفي لآخر، فهي متميزة ومستقلة وفريدة بذاتها، فلا يجوز فيها التقليد.

فصدق التوحيد فيما يري القشيري هو اليقين بأن علم الله تعالي لا يطلع عليه أحد، فهو إيمان غيبي، وخصوصاً الإيمان بقيام الساعة، حيث قال الحق تعالي: [**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**] {الأعراف:١٨٧} فقد اختص الله تعالي بصفة العلم وهي من صفات الذات، والتي لا يوصف بها أحد من خلقه مهما كانت درجته، والإيمان بالساعة من أهم دواعي التوحيد عند القشيري إذ يقول: الحق سبحانه استأثر بعلم الساعة، فلا يطلع علي وقتها نبياً ولا صفيا، فالإيمان بها غيبي، ويقين أهل التوحيد صادق علي شواهد الريب، ثم معجل قيامتهم يوجب الإيمان بمؤجلها (٤٨).

فأساس التوحيد عند القشيري عدم اتصاف الحق تعالي بصفات الخلق لأن ذلك من باب الإلحاد وعدم الوحيد، "إذ يقول في تفسير قوله تعالي: [**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**] {الأعراف:١٨٧} كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً، فمن وصف الحق بخصائص وصف الخلق فقد ألحد، ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد" (٤٩).

فالتوحيد كما سبق أن ذكرنا ليس إقراراً فقط وإنما هو سلوك أيضاً، إذ أن المؤمن الحق هو الذي يذكر الله تعالي في السراء والضراء ويتضرع إليه في الشدة والرخاء، وفي هذا يقول القشيري: شر الناس من يبتهل إلي الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء، وشدة التضرع والبكاء، فإذا أزيلت شكايته ودفعت – بمنته – آفاته ضيع الوفاء، ونسي البلاء، وقابل الرفد بنقض العهد، وأبدل العقد برفض الود، أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم، وخرطهم في سلك أهل الرد (٥٠).

وإذا كان القشيري قد اعتبر أن الإيمان علم الله تعالي الذي لا يطلع عليه أحد، فأنه يعتبر أيضاً أن حسن الظن بالله تعالي من أقوى الأسباب الدالة علي صدق التوحيد، وفي هذا يقول القشيري، "ودليل الخطاب يقتضي أن المؤمن إذا ظنا بالله تعالي جميلاًُ، أو أمل منه أشياء كثيرة فالله تعالي يحققها له، ويصدق ظنه لأنه علي عهد مع الله تعالي، والله تعالي لا يخلف عهده "(٥١).

والفكر الوسطي المعتدل الذي تميز به القشيري جعله لم يستدل علي وجود الله بطريق القلب فقط كما فعل معظم الصوفية، وإنما استخدم بجانب القلب "الحدس" أدلة العقل في الاستدلال علي وجود الله تعالي إذ يقول الحق تعالي [قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ] {**الأنبياء:٥٦**} أي أحالهم علي النظر والاستدلال والتعرف من حيث أدلة العقول لأن إثبات الصانع لا يعرف بالمعجزات، وإنما المعجزات علم بصدق الأنبياء عليهم السلام، وذلك فرع لمعرفة الصانع (٥٢).

كما يبرهن القشيري علي صدق التوحيد بطلب التوبة من الله تعالي عن الذنوب والمعاصي، والمسارعة إلي فعل الطاعات، والعبادات، حيث يقول الحق تعالي [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا] {**الإسراء: ٧٩**} فقد جعل الليل لأحد الأقوام إما: لطالبي النجاة وهم العاصون من جنح منهم إلي التوبة، أو لأصحاب الدرجات وهم الذين يجدون في الطاعات، ويسارعون في الخيرات، أو لأصحاب المناجاة مع المحبوب عندما يكون الناس فيما هم فيه من الغفلة والغيبة" (٥٣).

وصدق التوحيد هو أن يكون دخوله في الأشياء بالله لله لا لغيره، وخروجه عن الأشياء بالله لله لا لغيره فحسن الاعتقاد والأفعال من أهم أولويات صدق التوحيد، وهو "ما يطلق عليه القشيري بالحق المقيد، أما الحق المطلق هو الله

تعالي أو الموجود المطلق، وهذا ما وضحه القشيري في تفسيره لقوله تعالي [وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] {**الإسراء: ٨١** أراد بالحق هاهنا الإسلام والدين، وأراد بالباطل الكفر والشرك، والحق المطلق هو الموجود الحق، والحق المقيد ما كان حسناً في الاعتقاد والفعل والنطق، والباطل يقضي الحق، والله حق" (٥٤).

فمنهج القشيري يتميز بالقدرة علي الجمع بين أكثر من تيارات مختلفة في المنهج والأسلوب إذ استطاع بفكرة الوسطي أن يجمع بين مذهب السلف، وأدلة الأشاعرة، وأسلوب الصوفية الرقيق بعيداً عن الجدل العقيم، وإرشاد المريدين لطريق رب العالمين ولذلك نجده يتوسع نحو المفهوم التربوي عند حديثه عن المحيي المميت،" فيقول المحيي المميت علي الحقيقة من يخلق الموت والحياة، وذلك صفة القديم سبحانه، ثم إنه هذه الطائفة – يقصد الصوفية – أطلقوا لفظ الإحياء والإماتة لاعلي هذا الوصف، ولكن علي معني السرور والفرح والمحن والفرح بنوع توسع..... ويقولون من أقبل عليه الحق أحياه، ومن أعرض عنه أماته، وأفناه، ومن قربة أحياه، ومن غيبة أفناه" (٥٥).

فالإيمان بالحياة والموت، أو البعث من أهم دلالات التوحيد عند القشيري ومفتاح السعادات وهذا ما أكده من بعده الغزالي في حديثه عن اسم الباعث إذ يقول:" وكما أن من طباع الناس إنكار ما لم يبلغوه، ولم ينالوه حتى أن كل واحد ينكر ما لم يشاهده ولم يحصل له، ولا يؤمن بما غاب عنه، فمن طباعهم إنكار الولاية وعجائبها والنبوة وغرائبها ومن طباعهم إنكار النشأة الثانية، والحياة الآخرة، لأنهم لم يبلغوها بعد ولا عرض طور العقل وعالمه.... فمن آمن بشيء ممالم يبلغه فقد آمن بالغيب وذلك مفتاح السعادات"(٥٦).

وإذا كان الإخلاص في الأقوال والأفعال من أهم آداب التوحيد عند القشيري وكذلك الإيمان بالبعث- الحياة والموت- فإن من أهم آداب التوحيد الثقة بالموعود، وكثرة العيال علي بساط التوكل، وقيل من آداب من يكون واثقا بما عند الله ألا يتوقف في الإنفاق والبذل لتحققه أن الخلق من الله سبحانه وتعالي معجل، وجميل العقبى مؤجل، حكي أن حاتماً الأصم، كان صائماً فلما أمس قدم إليه عشاؤه، فجاء سائل فدفعه إليه فحمل إليه في ساعته طبق عليه ألوان الأطعمة والحلوى، وجاء سائل آخر فدفعه إليه فحمل إليه في الوقت صرة فيها دنانير، فصاح الغوث من خلف"[٥٧] وفي تفسيره معني أسم الملك، يقول القشيري" وتحقيق الملك عند أهل التحقيق القدرة علي الإبداع والإنشاء، فلا مالك في التحقيق إلا الله وفي غيره مجاز، فإذا ثبت لزوم العبد أن تبرأ من الإضافة إلي نفسه، فلا يقول بى ولا لي ولا مني، ولهذا قيل: التوحيد إسقاط الباءات يعني ياءات الإضافة إلي نفسه"[٥٨].

فتوحيد الله تعالي يكون من خلال المعرفه بأسمائه وصفاته ومحاولة التحقيق بها فيما عداً بعض الصفات، والأسماء التي لا يتصف بها إلا الحق تعالي منها صفة الخلق والإيجاد، ولهذا يجب علي العبد:" أن يعرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والإيجاد وألا يمجد كسبه، وألا يطوى بساط الشرع في الابتلاء بالأمر والنهي، ولا يعتقد أن للعبد علي الله حجه بسبب ذلك"[٥٩].

كما أتفق القشيري مع السلف تماماً في إثبات الصفات الإيجابية لله عز وجل، فالله تعالي" ليس كمثله شيء" والتي تشمل إثبات الكمالات لله عز وجل كالعلم والقدرة والخلق والإحياء والرزق والحكمة، ونفي الصفات السلبية وهي كل صفة تلحق نقصاً بموصوفها كالعمى والخرس والجهل، ونفي الحدوث والكيف.... وقرر أن الصفات لا تتعارض مع التوحيد... وأتهم المعتزلة بأنهم نقوا الصفات:

الصفات الإلهية لا تتعارض مع التوحيد بعكس الذين نفوا الصفات منعاً للتعدد وإقتضاء حامل ومحمول والظاهر من مذهبهم أنهم وحدوا بين الصفات والذات ليتفادو "القول و اقتضاء التوحيد والكثرة في آن واحد،.... والتوسط بين التعطيل، والتشبيه هو ما تبناه القشيري عن السلف الصالح.... وأن وصف المخلوق بصفات الخالق يؤدي إلي الحلول والإتحاد لا محالة، وهو ما وقعت فيه النصارى وبعض الغلاة من الصوفيه، ويعتبرها القشيري بدعة شنيعه، لما فيها من تفويض لحقيقه التوحيد، وهدم للتصور النفسي السليم لما يجب أن يكون عليه الإله من قدسيه وتنزيه"(٦٠).

وحقيقه التوحيد عند القشيري هو التزيه والتفريد وعدم التشبيه، وهذا ما يفهم من قوله تعالي" ليس كمثله شيء" لأنه فاطر السموات والأرض، ولأنه لا مثل بضارعه، ولا شكل يشاكله، والكاف في ليس(كمثله) صله أي ليس مثله شيء، ويقال لفظ" مثل" صله ومعناه ليس كهوش، ويقال معناه ليس له مثل، إذا لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو هو، فلما قال" ليس كمثله" فمعناه ليس له مثل، والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكامه، وقد وقع قوم في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهايه والكون في المكان، وأقبح قولا منهم من وصفوه بالجوارح.... وقوم قاسوا حكمه علي حكم عباده، فقالوا: ما يكون من الخلق قبيحا فمنه قبيح، وما يكون من الخلق حسنا فمنه حسن، وهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه. والحق مستحق للتنزيه دون التشبيه، مستحق للتوحيد دون التحديد، مستحق للتحصيل دون التعطيل والتمثيل(٦١).

كما يذهب القشيري إلي أن من أهم أولويات التوحيد عنده، الإيمان بالقدر وأن يقطع العبد أفكاره عن الخلق، والناس في التوحيد علي درجات، كما أنهم في وجودهم علي درجات، ولهذا قال الحق تعالي[**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ**

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] {الشُّورى:١٢} ويفسر ذلك القشيري بقوله: وكما أن الموجودات معادن مختلفه، فكذلك القلوب جواهر الأحوال، فبعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن المحبة، وبعضها للشوق، وبعضها للأنس....وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد، والتقرير، والهيئة، والرضا، وفائدة التعريف بأن المقاليد له: أن يقطع العبد أفكاره عن الخلق، ويتوجه في طلب ما يريده الله الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر "(٦٢).

واساس التوحيد أيضا عند القشيري يقوم علي معرفه النفس ومجاهدتها، فإذا قصرت في ذلك لم تتمكن من حقيقه التوحيد القائم علي العلم، والعمل بأسماء الله، وصفاته وليس الإقرار فقط، وفي هذا يقول:" إذا تقاصرت علوم التحلق عن العلم بأنفسهم فكيف نخيط علومهم بحقائق الصمديه، واستحقاقة لنعوته إلا بمقدار ما يخصهم به من التعريف علي ما يليق برتبة كل أحد بما جعله له أهلاً"(٦٣).

فالنظر العقلى وتدبر أمور الكون أمر واجب من أجل شفاء الصدور ورقة القلوب وشهود سلطان الحقيقة ، وهذا ما دعا إليه الحق تعالي في الكتاب العزيز "**[أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ]** {الرُّوم:٨} إن من نظر حق النظر ووضع النظر موضعه موعده عقله ألا يجنح إلي التقصير فيما به كمال سكونه "(٦٤).

فإرتباط العقيدة بالسلوك عن القشيري يثمر نور اليقين وشفاء الصدور، سير النفوس في أقطار الأرض ومناكبها لأداء العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات، وغايته الظفر بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدور "(٦٥).

فالسعادة الحقيقة هي في الإلتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، وهذا ما أكد عليه القشيري ثم أخذ بها المنهج من بعده الإمام السهروردي البغدادي "شهاب الدين"صاحب كتاب عوارف المعارف (ت٦٣٢هـ):وقد اعتمد الإمام السهروردي في مسائل العقيده علي الوحيين الكتاب والسنة وأكد علي ذلك في غير موضع في ثنايا كتبه.... فمن ذلك الباب الأول من كتاب"رشف النصائح" والذي جاء عنوانه" في بيان أن التمسك بالكتاب والسنة توفيق وسعادة والعدول عنها خذلان وشقاوة "[٦٦].

ومدح القشيري للصوفيه الملتزمين بالكتاب والسنة يتجلي في فهمهم أن التوحيد هو الدعوة إلي العمل وتفعيل هذا التوحيد، والتفرقة بين ما هو حق وبين ما هو بدعة وخروج عن الكتاب والسنة، وفي هذا يقول القشيري " إن شيوخ هذه الطائفة بنوا عقائدهم علي أحوال صحيحه من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم[٦٧]، وفي أكثر من موضع يذكر القشيري أن: عقائد مشايخ الصوفيه توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول [٦٨].

وفي النهاية يمكننا القول أن القشيري" قد أعد طريقة للمسلمين لإيجاد طريق وسط تهتم الشريعة بمراعاة المظاهر الخارجية للدين"الشعائر" والعبادات والمعاملات بينما"الحقيقة" تهتم بالرؤية الداخليه للقدرة الإلهية– مشاهدة الربوبية– فكل شعيره ليست مشبعة بروح الحقيقة لا قيمة لها، وكل روح للحقيقة لا تفيد بالشريعة فهي غير كاملة، وقد وجدت الشريعة لتنظيم الحياة البشرية، بينما الحقيقة تجعلنا نعلم التصرفات الإلهية، فالشرع لخدمة المولي عز وجل، بينما الحقيقة لتأمله، فتوحيد الشريعة لطاعة أمرنا الله بها بينما الحقيقة تهتم بمشاهدة النظام وتأمله، وقد أعلن سبحانه أن أحداهما خارجيه والأخرى داخليه، وقد سمعت أيا علي الدقاق يقول: أن آيه"إياك نعبد" هي لتدعيم الشرع بينما"إياك نستعين" هي

لتأكيد الحقيقة ولنعلم أن الشريعة هي الحقيقة لأن الله سبحانه وتعالي فرضها علينا، وأن الحقيقة هي أيضا الشريعة لأنها المعرفة بالله عز وجل وقد فرضها الله علينا كذلك"(٦٩).

٢ -أسماء الله وصفاته:

أ- تعريف الأسم:

أما عن تعريف الاسم من ناحية المصطلح فيقال أن الأسم: كلمة لها معني علي لسان أرباب كل علم فهي في الوضع اللغوي غيرها عند النحاه غيرها عند المناطقة غيرها عند الصوفيه (٧٠)، إلا أن الاسم في اللغه منحصر في اللفظ القولى، بل وفي الاصطلاحات النحوية علي ما يكون قسيماً للفعل والحرف، وأما علي قواعد أهل الحقيقة: فإن اللفظ إنما هو اسم الإسم، وأن الاسم الحقيقي إنما هو وجوده بتعين(٧١)، والاسم الحقيقي يراد به عين المسمي الذي هو عين مطلق الوجود لا الوجود المطلق إذ لا اسم يخصه..... وأسامي الذات يعني بها في قواعد أهل الكشف باطن إسمه المتكلم، والسميع، والبصير، والقدير، وهذه الأربعة تسمي بمفاتيح الغيب أيضا....، والإسم الأعظم يعني به كل من الأسماء الذاتيه الأوليه المسمي بمجموعها بمفاتيح الغيب، ويطلق الأسم الأعظم ويراد به إسمه (الله) تعالي لكونه هو الأسم الجامع، وفي هذا يقول أبو يزيد البسطامي عندما سئل عن الأسم الأعظم فقال: وأي أسم من أسمائه ليس بأعظم، إن هو إلا أنت إن صدقت فخذ أي إسم شئت من أسمائه فإنك تجده الأعظم(٧٢).أما الأسم الجامع فهو إسمه تعالي لأنه إسم الذات المسماة بجميع الأسماء الموصوفه بجميع الصفات(٧٣).

وعن ربط وجود المخلوقات وفنائها بأسماء الله تعالي، وكذلك ربط العقيدة والسلوك يقول أبو العباس بن عطاء عندما سئل ماذا سكنت قلوب العارفين؟ فقال: إلي أول حرف من كتابه وهو الباء من" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ". فإن معناه أن بالله

ظهرت الأشياء وبه فنيت، وبتخليه حسنت وباستتارته قبحت وسمحت لأن في إسمه (الله) هيبته وكبرياء، وفي إسمه (الرحمن) محبته ومودته، وفي إسمه (الرحيم) عونه ونصرته"[٧٤].

وأسماء الله تعالي هي أسماء ذات، وكل أسم من أسماء الله تعالي يتخلق به إلا إسمه: الله وإسمه الرحمن، لأنهما للتعلق دون التخلق وكذلك الصمديه ممتنعه عن الإدراك والإحاطة قال الله تعالي ["**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**] {طه:١١٠} [٧٥] ، فاسم الله الأعظم هو: الله لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقي الله وإن ذهب عنه اللام يبقي له، فلم تذهب الإشارة وإن ذهب عنه اللام الأخر فيبقى هاء وجميع الأسرار في الهاء، لأن معناه هو، وجميع أسماء الله تعالي إذ ذهب عنه حرف واحد يذهب المعني ولم يبقي فيه موضع الإشارة ولا تحمل العبارة[٧٦] فكل حرف من حروف أسم الله له دلالة ومعني وهذا ما أكده قول الطوس السابق.

ب- علاقة الاسم بالمسمى:

يذهب الكثير من علماء الصوفيه إلي أن الاسم هو عين المسمي، وأن الأسماء الإلهية أزلية وهي عين ذاته؛ فنجد أن الكلاباذي والقشيري صرحاً بأن الاسم عين المسمي، قال الشيخ عمر الشبراوي وهو رأي أكثر الصوفيه وإليه مال أبو بكر بن الطيب، وابن فورك، وأبو عبيده وسيبويه، وأحتج أنصار هذا الرأي من الصوفيه وغيرهم بأن الله تسمي بأسمائه أزلاً قبل الخلق، وهذا يعني أنها عينه إذا لو لم تكن كذلك لكانت حادثه ولجاز أن يكون الحق متجرداً عن الأسماء أزلاً[٧٧].

وأستند القشيري إلي قوله سبحانه [**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**] {الأعراف:١٨٠} الأعراف:آيه ٨٠ قائلاً: أراد به ولله التسميات، ولذلك قال الحسني وهو تأنيث الأحسن، ولو كانت الأسماء غير المسمي لقال الأحسن، وكذلك لو كانت الأسماء

غير المسمي لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالي(٧٨)، قلما قال"ليس كمثله شيء" فمعناه ليس له مثل، والحق لا شبيه له في ذاته ،ولا في صفاته، ولا في أحكامه(٧٩).

فالذات الإلهية لا تشبه الذوات الأخرى، ولا معطلة بالصفات، لهذا يذهب القشيري إلي أن التزيه الصادق بالقول والبيان والاعتقاد يكون بتقديس الحق عن مشابهة الخليقة وإفراده عن أوصاف الخلق" وإبعاده عن الحدوث وما يقتضيه، وعن موجبات التعطيل والتشبيه(٨٠)، وفي هذا يذكر الغزالي في شرح أسماء الله الحسني قول أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو يعد في السلوك غير واصل...... فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالي، وصفاته لا تصير صفة لغيره.... كما يقال فلان حصل علم أستاذه وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ(٨٠).

وإتحاذ الذات بالأسماء يسمي وحدانيه، فالأسماء و الصفات هي عين الذات وليست زائدة عنها: ويعني بذلك التعينات والرتب التي للأسماء الأول التي هي مفاتيح الغيب عندما يتعين ظهورها بصفة الحياة والحي، العلم والعالم، والقدرة والقادر، والإرادة والمريد، والكلام والمتكلم، مرتبه في تعيناتها، وذلك الترتيب هو أن تعلم بأن لهذه الصفات الظاهرة صورة بدون الإنسان كصورة اللفظ الجاري علي لسانه، ونظره بعينه وسماعه بأذنه.... وعلمه بيده المضافة كلها إلي صورة بدنه سبعه أبطن هي المشار إليها بقوله(ﷺ)"إن للقرآن ظهراً وبطناً، وفي بطنه بطن إلي سبعة أبطن" فالظهر ما عرفته من حريات اللفظ علي لسانه..... وغير ذلك من الجوارح وأما البطن الأول: فبأن تضاف الصفات إلي نفس الإنسان، ولكن من حيث لم يتميز عن نفوس باقي الحيوانات إلا بظاهر العقل المعيش المقيد بأمور دنيوية، وأما البطن الثاني: فهو ما يضاف إلي نفس الإنسان من حيث عقله المنور

بنور الشرع والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فيعبر مما يتعلق بالدنيا إلي ما يتعلق بالأخرة في نطقه وسماعه ونظره وفعله بفهم عقل صحيح وإيمان قوي[٨٢].

وأخيرا أدرك القشيري أن إدراك ذات الله تعالي وكنه لا يجوز عقلاً، وإنما الذي يدرك هو الأسماء والصفات، ولهذا قال في قوله تعالي [**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] {الأعراف:١٨٠} ، سبحانه من تعرف إلي أولياته بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو، وبأي وصف هو، وما الواجب في وصفه، وما الجائز في نعته، وما الممتنع في حقه وحكمه، فتجلي لقلوبهم بما يكاشفهم به من أسمائه وصفاته، فإن العقول محجوبه عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه وإن كانت واثقه علي الواجب والجائز والممتنع في ذاته، فللعقل العرفان بالجمله، وبالشرع الإطلاق البيان في الإخبار[٨٣].

٣ - الإيمان بالقدر خيره وشره:

إن مشكله الإيمان بالقضاء والقدر شغلت فكر العديد من الفرق الإسلامية علي مر العصور، إذ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان، ولهذا أجمع رجال الصوفية علي: أن الله تعالي خالق لأفعال العباد كلها، كما أنه خالق لأعيانهم، وأن كل ما يفعلونه من خير وشر فبقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، ولولا ذلك لم يكونوا عبيداً ولا مربوبيين ولا مخلوقين، وقال جل وعز [**قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**] {الرعد:١٦} [**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**] {القمر:٤٩}[٨٤] .

ويذهب القشيرى إلي أن من أهم أسباب محنة الأشعري هو قوله بإثبات القدر لله خيره وشره ونفعه وضره وإثبات صفات الجلال لله من قدرته، وعلمه وإرادته وحياته وبقائه، وسمعه، وكلامه[٨٥]، ولقد نهي الرسول(ﷺ)"عن الحديث في

القدر، لما في ذلك من الجدل العقيم، والنظرفيما لا يقع تحت دائرة العقل البشري، ونبه إلي أن الخوض في مسائله والاشتغال بها، كان أحد أسباب ضلال الأمم السابقة، وتفرقها علي أنبيائها وتشتت أبنائها إلي فرق متنأحرة ذات مذاهب متباينه، فمن قائل بالجبر المطلق، ومن قائل بالاختيار المطلق، والحائر بين الموقفين، ولذلك نهي عن الاشتغال بسر القدر فقال"القدر سر الله ولا تظهروا سر الله (٨٦).

وعن توضيح معني القدر يقول القشيري:لو أن الله عز وجل عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله عز وجل منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك ولو مت علي غير هذا دخلت النار"٨٧" من ذلك يبين لنا القشيري أن عذاب العبد وثوابه عدل من الله تعالي ورحمته وبهما يدخل الجنة أو النار، وليس بالأعمال وأنما بالإيمان بالقدر.

ولما كان الإيمان بالقضاء والقدر من أهم أركان الإسلام يذهب القشيري إلي أن عدم الإيمان به من أقوي أسباب الكفر استناداً إلي ما قاله الرسول ﷺ حيث قال "قوم يقولون لا قدر أولئك مجوس هذه الأمة فان مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم فإنهم شيعة الدجال وحق علي الله أن لا يلحقهم به(٨٨).

كما أن الإيمان بالقضاء والقدر يظهر في الرضا به والاستسلام لجريان الأحكام الإلهية وكذلك التسليم به والتوكل علي الله تعالي، أما الغضب وعدم الرضا بالقدر، والاستسلام للأحكام الإلهية لا يمنع وقوع القدر، ولهذا نزلت العديد من الآيات القرآنية التي تدعونا إلي الرضا وعدم النفور من الأقدار، والمؤمنون بالقضاء والقدر هم من عرفوا طريق الله، ثم سلكوا طريق الله، ثم دعوا الناس إلي الله، قال الله تعالي [**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي**

مِنَ الْمُسْلِمِينَ] {فصِّلت:٣٣} وقال القشيري في قوله "إنني من المسلمين" المسلمون لحكمه هم الراضون بقضائه وقدره" (٨٩).

كما يذهب القشيري إلي أنه لا فائدة من طاعة لا تقوم علي الرضا بالقضاء والقدر، إذ أن النفور واستيلاء الغضب عليه لم يغير التقدير، ولم يؤخر المكتوب، وهذا ما أكده في أكثر من موضع في لطائف الإشارات، إذ يقول:" لا طاعة لمخلوق في مقاساة تقديره سبحانه – إلا من تحمل عنه بفضله ما يحمله .... وفي هذا إشارة إلي أن أسرار التقدير لا تجري علي قياس الخلق.... فالله سبحانه فعال لما يريد" (٩٠).

وطريق الأنبياء والأولياء هو الإيمان بالقضاء والقدر ويتجلي ذلك في سلوكهم، وأقوالهم، وأفعالهم القائمة علي الرضا والتفويض والاستسلام للحكم والقضاء ويذهب القشيري "إلي أن العبد إذا عرف أن الله عادلاً في حكمة كان ذلك من موجبات الإيمان بالقضاء والقدر، فالعدل من صفات الذات الإلهية، وجميع المخلوقات ملكه وحكمه فيهم عادلاً يفعل فيهم ما يريد، ومن عرف ذلك كان عليه الرضا والصبر، وحول هذا المعني يقول: والعدل من صفات ذاته بمعني أن له أن يفعل في ملكه ما يريد، فمن عرف أنه العدل لم يستقبح بقلبه موجوداً، ولم يستقبل منه حكماً بل يستقبل حكمه بالرضا، ويصبر تحت البلاء بغير شكوي لعلمه أنه عدل، قال أبو عثمان المغربي قلوب العارفين قارعة لمفاجآت القدر" (٩١).

والإيمان بالقضاء والقدر هو عدم الاهتمام بالسوابق، والعواقب، وإنما يكون همه في الانشغال بالطاعات والعبادات، وعدم إضاعة الوقت في الباطل، ولهذا قيل الصوفي هو ابن وقته أي لا يفكر فيما مضي ولا يفكر فيما يأتي في المستقبل، بل يترك الأمر كله علي الله تعالي وما عليه إلا الأخذ بالأسباب، وفي

هذا يقول القشيري "وأصحاب الوقت وهم الذين لا يفكرون في السوابق وفي العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت" (٩٢).

فمن كانت حاجته في حق الله محضاً، كان واثقا بقضاء الله وقدره، ومن كانت حاجته في حظ نفسه خرج من دائرة الإيمان بالقضاء والقدر، وكان غير راضي، وفي هذا يقول القشيري:" فإذا علم العبد أنه كافيه لم يرفع حوائجه إلا إليه، فهو سريع الإجابة لمن انقطع إليه، وتوكل في جميع أحواله عليه، لا سيما إذا كانت حاجته في حق الله محضاً، لأنها إذا كانت في حظ الخلق، ولا يستأنس بقبولهم، ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته وإن أعرضوا، والذي لم يقسم له لا يصل إليه، وإن أقبلوا، فإذا دام علي هذه الحالة فعن قريب يرضيه مولاه بما يختار له فيؤثر بعد ذلك العدم علي الوجود، والفقر علي الغني"(٩٣).

وإيمان الناس بالقضاء والقدر ليس علي درجة واحدة وذلك نابع من أن الناس في مشاهدتهم لجلال الله تعالي علي درجات، وفي تقسيم الناس إلي درجات يقول القشيري:" وأعلم أن العابدين شهدوا أفضاله فبذلوا نفوسهم، والعارفين شهدوا جلاله فبذلوا قلوبهم، والمحبين شهدوا جماله فبذلوا أرواحهم، ممن كان له علم اليقين شهد جلاله، ومن كان له حق اليقين شهد جماله"(٩٤).

وتتلاحق النصوص عند القشيري في تأكيد خلق الأفعال لله تعالي، وقدرة العبد تنحسر في كسب الأفعال "فقدره الحق تصلح للخلق، وقدرة العبد تصلح للكسب، فالعبد لا يوصف بالقدرة علي الخلق، والحق لا يوصف بالقدرة علي الكسب"(٩٥).

وما علي الإنسان إلا أن يرضي بقضاء الله وقدره حتي لا ينال الغضب من الحق تعالي، ولا يعتقد في أن طاعته هي الموصلة إلي الجنة، وإنما يكون ذلك بكرم، وفضل من الله تعالي عليه، ومن عرف أنه -عز وجل- قادر خشي من

سطوات عقوبته عند مخالفته، وأمل لطائف رحمته ونعمته، عند سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته"(٩٦).

فالقشيري يذهب إلي ما ذهب إليه الأشاعرة من أن الله تعالي فاعل لأفعال الخلق علي الحقيقة، ولكنهم في ذلك مخالفين للمعتزلة الذين سموا بالقدرية لأنهم قالوا بقدرة خلق الأفعال، وفي هذا يقول "العجب ممن تبقي علي قلبه شبهة من مسألة القدر"(٩٧)

وأحياناًَ يتغير موقف القشيري من نظرية الكسب، خلق الأفعال للعباد، فتارة يجعل الإنسان يفعل وتارة يجعله ألا يفعل، أما قوله في قوله تعالي [**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**] {إبراهيم:٤٠}. إشارة إلي أن أفعال العباد مخلوقة، فمعناه أن يجعل له صلاة (٩٨)، فأمور العبادة من صلاة ودعاء هي من فعل العباد، وهي أمور لا بد من فعلها سواء قبلت أو لم تقبل، وكذلك للعبد أن يفعلها أو لا يفعلها، وفي هذا حرية الإرادة وحرية الفعل ويقال لا ينبغي للعبد أن يترك دعائه أو يقطع رجاءه في ألا يستجيب الله دعاءه، فإن إبراهيم الخليل عليه السلام دعاء لأبويه فلم يستجب له، ثم إنه لم يترك الدعاء، وسأل حيناً لم يجب فيه، فلا غضاضة علي العبد ولا تناله مذلة إن لم يجبه مولاه في شيء، فإن الدعاء عبادة لا بد للعبد من فعلها، والإجابة من الحق فضل، وله أن يفعل أو لا يفعل (٩٩).

ويستدل القشيري علي أن للإنسان حرية، بأن الضعفاء من العاصيين ارتكبوا [**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ**] {غافر:٤٧} المعاصي وتابعوا المستكبرين باختيارهم، حيث قال يقول الضعفاء للذين استكبروا: أنتم أضللتمونا، ويقول لهم المستكبرون: أنتم وافقتونا باختياركم (١٠٠). ويعلق د/ بسيوني علي ذلك بقوله: لا

حظ هنا كيف يحرص القشيري علي إبراز عنصر الاختيار لدي الإنسان، مع معرفتنا السابقة بأنه ينادي بأن الله خالق كل شيء حتى أكساب العباد، وقد حاول أن يوفق بين الاتجاهين فقال: يجري هذا من العبد فعلا ومن الله حكما [١٠١]. ومن الآيات التي استدل بها الأشاعرة علي نظرية الكسب قوله تعالي [**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**] {المدَّثر:٣٨} وقوله تعالى [**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**] {الأنعام:٣}

وإذا كانت الأشاعرة اتخذت موقفا وسطاً بين المعتزلة القائلة بالقدرة والاستطاعة، وبين الجبرية التي أنكرت قدرة العبد علي الفعل مطلقا، ولم يفرقوا بين الحركة الإراديه، والاضطرارية كالرعشة في اليد، فكل شيء سبق تقديره ولا دخل للإنسان في شيء فأجازوا المحال، وصارت تكاليف الشريعة في مذهبهم بلا معني[١٠٢]، فإن القشيري سار علي نفس المنوال إذ يقول "ومن آداب من عرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والإيجاد ألا يمجد كسب العبد، وألا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالأمر والنهي، ولا يعتقد أن للعبد عليه حجة بسبب ذلك"[١٠٣].

وتتعرض نظرية الكسب التي قال بها الأشاعرة إلي النقد من قبل أبو بكر الباقلاني والحسن البصري، وذلك لأنها اسلمت إلي كثير من الغموض واللبس في المفاهيم، إذ كيف يقال بوجود قدرة مخلوقه حادثة، ولا تتعلق لها بمقدور؟ ومعلوم ضرورة أن تكون مؤثرة، وهذا تناقض، ثم إذا قيل بأنها تتعلق بمقدورها، فكيف لا تؤثر فيه خلقاً وإيجاداً؟ إذ أن نسبتها إلي مقدرها كنسبة السبب إلي المسبب، لا يكون إلا به فإذا امتنع السبب امتنع المسبب، وكذلك إذا امتنعت العلاقة امتنعت القدرة، والقدرة من صفات التعلق فكل ما لا تعلق لها به، فليس بقدرة"[١٠٤].

فخلق الأفعال واختراعها ترجع إلي الله تعالي في الحقيقة وإلي العباد مجازاً وهذا هو ما يسمي بنظرية الكسب، ولهذا قال الغزالي: ولما كان اسم الخالق

والمخترع مطلقا علي من أوجد الشيء بقدرته وكانت القدرة والمقدور جميعا بقدرة الله تعالى سمي خالقاً ومخترعاً ولم يكن المقدور مخترعاً بقدرة العبد وإن كان معه فلم يسم خالقا ولا مخترعا ووجب أن يطلب لهذا النمط من النسبة اسم آخر مخالف فطلب له اسم الكسب [١٠٥].

ولما كان السلوك هو الطريق المؤدي إلي العقيدة، فإن القشيري وضع مؤلفه المهم "لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم" ليبن من خلاله مفهوم السلوك الصحيح وكذلك "الرسالة القشيرية" التي يعرض فيها أقوال الصوفية الصحيحة في المقامات والأحوال والآداب والرياضيات والمجاهدات التي يجب أن يلتزم بها رجال التصوف.

فالقشيري يجعل عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر أساس التوكل علي الله تعالي وفي هذا يستشهد بالعديد من أقوال الصوفية عن التوكل منها "قول الحسين بن منصور إذ يقول المتوكل المحق لا يأكل وفي البلد من هو أحق به منه وكذلك قول سهل التستري عندما سئل عن التوكل فقال هو قلب عاش مع الله تعالي بلا علاقة" [١٠٦] ومن ثم فإن عقيدة التوكل فيها إسقاط الخوف من المقادير وكذلك إسقاط الطمع عما في أيدي الناس والثقة بالحق تعالي.

فالشكر عند القشيري مرتبط باسم من أسماء الله تعالي "شكور"، وفي هذا يقول "حقيقة الشكر عند أهل التحقق الاعتراف بنعمة المنعم علي وجه الخضوع وعلي القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعاً ومعناه أنه يجازي العباد علي الشكر فسمي جزاء الشكر شكراً كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها.... ويتحمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء علي المحسن بذكر إحسانه فشكر العباد لله تعالي ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد وثناؤه عليه بذكر إحسانه ثم أن إحسان العبد طاعته لله تعالي وإحسان الحق إنعامه علي العبد بالتوفيق للشكر له

وشكر العبد علي الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالي والشكر ينقسم إلي شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن، والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف علي بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة (١٠٧).

وزيادة تأكيد لما سبق يقول القشيري في قوله تعالي [**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] {الأعراف أية:١٨٠} سبحان من تعرف إلي أولياته بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو، وبأي وصف هو، وما الواجب في وصفه، وما الجائز في نعته، وما الممتنع في حقه وحكمه؛ فتجلي لقلوبهم بما يكاشفهم به من أسمائه وصفاته، فإن العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه وإن كانت واقفة علي الواجب والجائز والممتنع في ذاته، فللعقل العرفان بالجملة، وبالشرع الإطلاق والبيان في الإخبار... فمن كان مكاشفاً بعطائه عليه وصف من صفاته ذكره بما يقتضي هذا الوصف، فمن كان مكاشفاً بعطائه مربوط القلب بأفضاله فالغالب علي قالته الثناء عليه بأنه الوهاب والبار والمعطي وما جري مجراه (١٠٨) .

وعن حال الفناء والبقاء بالحق تعالي يقول القشيري" أن الله تعالي مطلع علي ظاهر الأعمال وباطنها، هذا الفناء عن الأغيار والسوي والبقاء بالحق تعالي سر لا يعلمه إلا الله تعالي مستشهداً بالآية الكريمة [**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**] {البقرة: ٧٦} تواصلوا فيها بينهم بإنكار الحق، وإخفاء الحال علي المسلمين، ولم يعلموا أن الله يطلع رسوله عليه السلام علي أسرارهم، وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفئ بمزاولة الاغيار، ومواقفه اللسان مع مخالفه العقيدة لا يزيد إلا زيادة الفرقة (١٠٩) .

أما عن المحبة الإلهية فإن القشيري يربطها بالفناء عن السوي والأغيار وفي هذا يقدم أقوال بعض الشيوخ منها "المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل المحبة محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته وأهم هذه الأقوال هي عندما سئل الحبنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب علي البدل من صفات المحبة أشار بهذا إلي استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب علي قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها (١١٠) .

وإذا كان الفناء عند القشيري مرتبط بالمحبة الإلهية، فإن ابن عربي يذهب إلي أن . الفناء يتلازم معه الاتحاد . إتحاد المحب بالمحبوب، وهذا ما أكد عليه د/أحمد الجزار بقوله "إذا كان الفناء في المحبوب من جانب المحب، هو غاية الحب في كل مراتبه الثلث عند ابن عربي، فإنه ألزم ما يكون للفناء في الحب الإلهي بالقياس إلي الحبين الطبيعي والروحاني مع أنهما مركب الحب الإلهي نفسه، وليس الفناء حالة تصاحب الحب الإلهية فقط، بل الفناء يتلازم معه الاتحاد ضرورة– اتحاد المحب بالمحبوب، فمن خلاله تتحقق غاية حب الإنسان لله ، بحيث نصير ذاته عين ذات الحق تعالي، وهو الأمر الذي فهمه ابن عربي من الحديث القدس "لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، ويصره الذي يبصر به.... الحديث ومن هذا الحديث– كما يقول أبن عربي– قال من قال بالاتحاد"(١١١) .

وفي موضع آخر يذكر د/ أحمد الجزار "أن الفناء عن وجود السوي، والذي يتحقق فيه المحب الفاني بأنه ما ثم إلا الله تعالي عند ابن عربي، لا يحقق التوحيد الذي يتسق ومفهوم الإلوهية الصحيحة في الإسلام، وهو الأمر الذي يصطدم فيه وحده الوجود حقيقة مع مفهوم التوحيد في الإسلام، بالرغم من حرص

صاحبها علي أن يجعل وحدته روحية لا مادية، وبالرغم من أنه يدرك فعلاً أن العبد عبد وأن الرب رب، والسبب في ذلك أن الموحد الحقيقي عنده لا يكون موحداً حقيقياً ما لم يقن فناء تاماً في الله وما لم يجمع في توحيده بين التنزيه والتشبيه معاً وهو الأمر الذي يراه ابن عربي ضرورة"(١١٢) .

ولما كان القشيري يري أن العقيدة لا تكتمل إلا بالسلوك الصحيح ذهب إلي أن الإيمان الحقيقي فيه صلاح القلب ونقاءه من الادغان القلب وحياة القلب تكون بمجاهد النفس وقمع شهواتها، وذلك لأن القلب هو بيت الإيمان، ومهبط للأسرار الإلهية وفي هذا يقول "الإيمان هو حياة القلب والقلب لا يحيا إلا بعد ذبح النفس، والنفوس لا تموت ولكنها تغيب، ومع حضورها لا يتم خير، والاستسلام في الظاهر إسلام، وليس كل من استسلم ظاهراً مخلص في سره" (١١٣)

وفي موضع آخر يقول "وسخر شموس التوحيد وأقمار المعرفة علي ما يريد من إظهاره علي القلوب"(١١٤).

وما ذكره القشيري في رسالته ذكره الطوسي في اللمع عن مقامات وأحوال العارفين وخصوصاً في المحبة وعلاقتها بالفناء "وشرطها ووصفها كما حكي عن أبي الحسين النوري أنه سئل عن المحبة فقال: هتك الأستار وكشف الأسرار "(١١٥).

أما عن حال الخوف والرجاء ومما يحققان من توازن واعتدال للنفس يقول القشيري "وأما في الباطن فسماء القلوب زينها بمصابيح العقول، وأطلع فيها شمس التوحيد وقمر العرفان، ومرج في القلوب بحري الخوف والرجاء، وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان، فلا خوف يقلب الرجاء ولا الرجاء يقلب الخوف، كما جاء في الخبر- لو وزنا لاعتدلا- هذا لعوام المؤمنين، فأما للخواص فالقبض والبسط، ولخاص الخاص فالهيبة والأنس والبقاء والفناء"(١١٦) .

ويذهب القشيري أن غفر الذنوب وتطهير القلوب من باب التوبة، والتوبة من أسماء الله الحسني "التواب"، وفي هذا يقول القشيري "والأسباب التي تطيب بها قلوبهم وأرواحهم مختلفة، فمنهم من طاب وقته لأنه قد غفرت ذنوبه، وسترت عيوبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه سلم عليه محبوبة، ومنهم من طاب قلبه لأنه لم يفته مطلوبه" (١١٧).

ويتفق الغزالي مع ما قاله القشيري في التوبة بقوله "التواب هو الذي يرجع إلي تيسير أسباب التوبة لعباده، مرة بعد أخري بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخوفاته وتحذيراته، حتى إذا أطلعوا بتعريفه علي غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه، فرجعوا إلي التوبة، فرجع إليهم فضل الله تعالي بالقبول (١١٨).

خـــاتمـــة

مما سبق يتتضح أن القشيري إعتبر التصوف هو أسمي العلوم وأرقها، فهو علم لا حد له وهو غاية كل العلوم، وهذا ما أكد عليه أيضا الطوسي بقوله "وأعلم أن مستنبطات الصوفية في معاني هذه العلوم" يقصد علوم الشرع" ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر، لأن هذا العلم "التصوف" ليس له نهاية، لأنه إشارات وبوادر وخواطر وعطايا يعرفها أهله" من بحر العطاء، وسائر العلوم لها حد محدود، وجميع العلوم يؤدي إلي علم التصوف "(١١٩).

كما يتضح لنا أيضا أن التصوف السليم لا يكون إلا بالعقيدة الصحيحة، والعمل الحسن، والإيمان عنه شرط في صحة العمل، إذ لا تقبل الطاعات والعبادات من قلب متعلق بالأغيار والسوي، ولا يؤمن بالقدر خيره وشره، "وسنجد أن القشيري في هذا الصدد كان ممهدا للغزالي الذي إنتمي إلي نفس مدرسته الأشعرية، والذي تبني نفس فكرته تلك فيما بعد، وسار في اتجاه المحاسبي، والجنيد، وإضرابهما، وحمل علي أصحاب الشطحات"(١٢٠).

ويقرر القشيري أن التوحيد هو التصديق بالقلب من خلال المعرفة بأسماء الله تعالي وصفاته، وأن الناس علي درجات من الإيمان، والقرب من الحق تعالي، وهو في هذا يتفق مع الهجويرى إذ يقول: الناس رجلان: متفرق إلي الله فهو في أعلي الدرجات علي لسان الشريعة، وآخر لا يري الأفتقار لما علم من فراغ الله من الخلق والرزق، والأجل، والحياة، والسعادة، والشقاوة، فهو في إفتقار إليه واستغنائه به، فذلك الفريق في افتقاره محجوب عن رؤية التقدير برؤية الأفتقار، وهذا الفرق في تركه لرؤية افتقاره مكاشف ومستغن به فأحدهما مع النعمة، والآخر مع المنعم،

فمن يكن مع النعمة في رؤية النعمة فهو فقير، وإن يكن غنيا، ومن يكن مع المنعم، ومشاهدته فهو غني، وأن يكن فقيراً (١٢١).

وإذا كان القشيري يذهب إلي أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان الباطني أي السلوك، فإنه يتفق مع سلف الأمة وخلفها في أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهو في هذا يتفق مع الأشعري الذي يذهب إلي أن: الإيمان عقد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان ويزيد وينقص من حيث العين، فلا فرق بين إيمان عبد، وآخر، وهذا ما أكد عليه أيضا أحمد بن جنبل عند بيانه لأصول الإيمان حيث يقول: إن الإيمان قول وعمل ونية، وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص (١٢٢).

ولا ريب أن التوبة والبعد عن المعاصي، والمخالفات من أقوي أسباب التوحيد عند القشيري وكذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر يعني التسليم بأحكام الله تعالي والرضا بها، وعدم الغضب لوقوعها، والسخط منها، كما أن الإيمان بالقدر يعني التوكل علي الله تعالي وعدم الاعتماد علي الأسباب والأغيار، والفناء عنها، والبقاء بمحقق الأخيار والسوي.

وأساس التوحيد أيضا عند القشيري هو الإيمان بالعدل الإلهي المطلق، واستحالة وصفه بالظلم، فله أن يفعل ما يشاء في ملكه، وما علي العباد إلا أن يؤمنوا بهذا القدر، وفي تفسير قوله تعالي "[**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**] {يونس:٤٤} نفى عن نفسه ما يستحيل تقديره وفي نعته، وكيف يوصف بالظلم، وكل ما يتوهم أن لو فعله كان دله ذلك؟ إذ الحق حقه، والملك ملكه، ومن لا يصح تقدير قبيح منه – أني يوصف بالظلم جوازاً، أو وجوباً (١٢٣).

من كل ما سبق نستطيع أن نقرر أن العقيدة والسلوك عند القشيري وجهان لعملة واحدة، لا يمكن الاستغناء بجانب عن الآخر، حيث يحاسب الإنسان علي

الأعمال الظاهرة والباطنة خيرها وشرها، فالعقيدة هي هدف وغاية السلوك، والسلوك هو الطريق المؤدي إلي العقيدة، فلا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الأخر، ومن ثم: صور القشيري في الرسالة العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويراً رائعاً فقال: "الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية.... الشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بأمر، والحقيقة شهود لما قضي وقدر وأخفي وأظهر" [١٢٤].

الهــوامــش

١- **محمد علي أبو ريان:** تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجماعية بدون تاريخ، ص٦٢.

٢- **أحمد محمود الجزار:** فلسفة الحياة الروحية في الإسلام قضايا وشخصيات دار الثقافة ٢٠٠٧م، جـ١، ص١٠١.

٣- **أبو حامد الغزالي:** المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسني، تحقيق محمود النواوى، مكتبة الفجر ٢٠٠٦م، ص١١٩ وانظر التعرف بالجويني، ص٤.

٤- **عبد الكريم بن هوازن القشيري:** الرسالة القشيريه في علم التصوف، تحقيق معروف زريق، علي عبد الحميد، دار الخير ١٩٨٨م، ص١٩.

٥- المصدر السابق: ص٣٨.

٦- **المصدر السابق:** ص ٥-٧ وانظر عبد الرازق القاستاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق سعيد عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م، جـ١، ص٣٢٢.

٧- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٩٢١م، جـ٣، ص٢٤٦،٢٤٣، وانظر أبو الحسن الهجويري: كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤م، جـ١، ص١٥٦-١٥٧.

٨- **عبد الكريم القشيري:** الرسالة القشيرية، ص١٥-١٧.

٩- **المصدر السابق:** ص١٧.

١٠- **أبو الحسن الهجويري:** كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي، جـ١، ص٧-٩، وانظر إبراهيم بسيوني: التحبير في التذكير، دار الكاتب للطباعة ١٩٦٨م، ص٦.

١١- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية، جـ٢، ص٢٦٩-٢٧٢ ولمزيد من معرفة أبو المعالي الجويني إمام الحرمين انظر الطبقات: جـ٣، ص٢٤٩ أمام التعرف بالبيهقي: جـ٢، ص ٢٧٢-٢٧٥، وانظر القشيري: التحبير في التزكير، تحقيق وتقديم إبراهيم بسيوني، ص٤-٧.

١٢- **سورة:**البينة أية (٥).

١٣- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي العقيدة والأخلاق، دار الأوقاف العربية ٢٠٠٥م، جـ٣، ص٩٥.

- **فخر الدين الرازي** هو محمد بن عمر الحسن بن علي فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري الطبرستانى الرازي ولد سنة ٥٤٤هـ تتلمذ علي والده ضياء الدين ..... وقد توفي الرازي في ٦٠٦هـ، يمثل الرازي مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري، فهذا الإمام الشافعي الأشعري ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، وتصوف الرازي قريب مما انتهى إليه تصوف الغزالي، وأبرز كتبه في التصوف شرح أسماء الله الحسني الذي سار فيه علي طريقة القشيري،وانظر عبد الرحمن محمود: كتاب وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، موقع نت..Ahsarar.com

١٤- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية، جـ٣، ص٢٨٦.

١٥- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي، التطور والملامح، جـ٢، ص٢٤٥-٢٤٦.

١٦- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية، رسالة شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة،جـ٢،ص٢٨٦.

١٧- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٨٦.

١٨- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٨٦، سورة البقرة: آية ٢٢٢.

١٩- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٨٦.

٢٠- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٨٦-٢٨٧.

٢١- **الهجويري:** كشف المصحوب، ص٣٤-٣٦.

٢٢- **سعيد الخراز:** كتاب الطريق إلي الله أو كتاب الصدق، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، مكتبة دار العروبة ١٩٦٠م، ص٩٦-٩٨.

٢٣- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي التطور والملامح، جـ٢، ص٢٥٠.

٢٤- **القشيري:** التحبير في التذكير، ص١٤.

٢٥- **المصدر السابق:** ص١٦.

٢٦- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي التطور والملامح، جـ٢، ص٤٥١.

٢٧- **سورة الأعراف:** آية١٨٠.

٢٨- **القشيري:** التحبير في التذكير، ص١٨.

٢٩- **المصدر السابق:** ص٢٠ وانظر عبد الرزاق القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام تحقيق سعيد عبد الفتاح، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م، جـ١، ص١٩٦.

٣٠- **القشيري:** لطائف الإشارات، تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م، جـ١، ص٥٩٠.

٣١- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية، رسالة شكاية أهل السنة، جـ٢، ص٢٨٧.

٣٢- **القشيري:** التحبير في التذكير، ص١٩-٢٠.

٣٣- **القشيري:** لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، جـ٢، ص ٤٩٧، سورة الأنبياء :آية٢٢.

٣٤- **المصدر السابق:** لطائف الإشارات، جـ٢، ص٤٩٨، سورة الأنبياء: آية ٢٣-٢٤.

٣٥- **إمام حنفي سيد عبد الله:** الآراء الكلامية والصوفية عند القشيري، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٥م، جـ١، ص٥٤.

٣٦- **الغزالي:** المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسني، ص١١٩.

٣٧- **المصدر السابق:** ص١٣٠.

٣٨- **القشيري:** التحبير في التذكير، ص٧٦-٧٩.

٣٩- **المصدر السابق:** ص٧٩-٨٠.

٤٠- **المصدر السابق:** ص٨٠-٨١.

٤١- **المصدر السابق:** ص٨٣.

٤٢- **الغزالي**: المقصد الأسني، ص١٠٣-١٠٤.

٤٣- **القشيري**: شكاية أهل السنة، ص٢٨٧.

٤٤- **المصدر السابق**: ص٢٨٧.

٤٥- **المصدر السابق**: ص٢٨٧، سورة الزمر: آية ٩.

٤٦- **القشيري**: لطائف الإشارات، جـ١، ص٩٩ سورة البقرة: آية ٧٣، آية ٢٨.

٤٧- **إمام حنفي سيد عبد الله**: الأراء الكلامية والصوفية عند القشيري، جـ١، ص٥٣، سورة الجمعة: آية ٥٣.

٤٨- **القشيري**: لطائف الإشارات، جـ١، ص٥٩٤، سورة الأعراف: آية ١٨٧.

٤٩- **المصدر السابق**: جـ١، ص٥٩٥، سورة الأعراف: آية ١٩١.

٥٠- **المصدر السابق**: جـ١، ص٥٩٥.

٥١- **القشيري**: لطائف الإشارات، جـ٢، ص٤٤١.

٥٢- **المصدر السابق**: جـ٢، ص٥٠٧-٥٠٨، سورة الأنبياء: آية٥٦.

٥٣- **المصدر السابق**: جـ٢، ص٣٦٤، سورة الإسراء: آية٧٩.

٥٤- **المصدر السابق**: جـ٢، ص٣٦٥ سورة الإسراء: آية ٨١.

٥٥- **إمام حنفي**: الآراء الكلامية والصوفية، جـ١، ص١٧.

٥٦- **الغزالي**: المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسني، ص٩٤.

٥٧- **القشيري**: التحبير في التذكير، ص٢٧.

٥٨- **المصدر السابق**: ص٢٦.

٥٩- **المصدر السابق:** ص٣٥.

٦٠- **إمام حنفي:** الأراء الكلامية والصوفية، جـ١، ص٩٢-٩٥، سورة الشوري: آية ١١.

٦١- **القشيري:** لطائف الإشارات، جـ٣، ص٣٤٥، الشورى: آية ١١.

٦٢- **المصدر السابق:** جـ٣، ص٣٤٥-٣٤٦، سورة الشورى آية ١٢.

٦٣- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٤٠٢.

٦٤- **المصدر السابق:** جـ٣، ص١٠٩، سورة الروم: آية٨.

٦٥- **المصدر السابق:** جـ٣، ص١٠٩-١١٠.

٦٦- **عبد الله بن صالح البراك:** الإمام السهروردى وآراؤه الاعتقادية، بحث محكم ومنشور في مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا- كلية دار العلوم يناير ٢٠٠٦م، ص٩.

٦٧- Sidicheikh.yoo7.com

٦٨- Html.ihttp://www.islamicbook.ws/amma/alrsalt-alqshirit.

٦٩- **سبنسرترمنجهام:**الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة د/ عبد القادر البحراوى:دارالنهضة العربية، بيروت ١٩٧٧م، ص٢٢٥.

٧٠- **عبدالله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي، التطوروالملامح، جـ٢، ص٤٥٩.

٧١- **عبد الرزاق القاشاني:** معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، لطائف، الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق سعيد عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧، ص١٩٣.

٧٢- **المصدر السابق:** ص١٩٤-١٩٦ وانظر اصطلاحات الصوفية، تحقيق محمد كمال جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٨، ص٢٨-٢٩.

٧٣- **المصدر السابق:** ص١٩٦.

٧٤- **أبي نصر السراج الطوسي:** اللمع، تحقيق عماد البارودي، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ، ص٨٩.

٧٥- **المصدر السابق:** ص٩٠، سورة طه: آية١١.

٧٦- **المصدر السابق:** ص٩٠.

٧٧- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي، جـ٢، ص٤٦٨.

٧٨- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٤٦٧.

٧٩- **القشيري:** لطائف الإشارات، جـ٣، ص٣٤٥.

٨٠- **عبد الله الشاذلي:** موسوعة التصوف الإسلامي، جـ٢، ص٤٨٥.

٨١- **أبو حامد الغزالي:** المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسني، ص١١٧.

٨٢- **عبد الرزاق القاشاني:** لطائف الإعلام في الإشارات أهل الإلهام، ص٣٣٠-٣٣٢.

٨٣- **القشيري:** لطائف لإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، جـ١، ص٥٩٠، وانظر أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، القاهرة١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، ص٣٥-٣٦، سورة الأعراف: آية ١٨٠.

٨٤- **الكلاباذى:** التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٤٤، سورة الرعد: آية ١٦، سورة البقرة: آية٤٦.

٨٥- **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٢٧٨.

٨٦- **إمام حنفي سيد:** الآراء الكلامية والصوفية عند القشيري، جـ١، ص٢٧١.

٨٧- **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٢٨٣.

٨٨- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٨٤.

٨٩- **القشيري:** لطائف الإشارات، جـ٣، ص٣٣١، سورة فصلت: آية٣٣.

٩٠- **المصدر السابق:** جـ٢، ص١٣٦، ص٤٧٤ وانظر جـ١، ص٣٢٦.

٩١- **القشيري:** التحبير في التذكير، ص٥٠-٥١.

٩٢- **المصدر السابق:** ص٥١.

٩٣- **المصدر السابق:** ص٦١.

٩٤- **المصدر السابق:** ص٦٢.

٩٥- **المصدر السابق:** ص٨١.

٩٦- **المصدر السابق:** ص٨١.

٩٧- **القشيري:** لطائف الإشارات، جـ١، ص٤٩٤.

٩٨- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٥٨، سورة إبراهيم: آية ٤٠.

٩٩- **المصدر السابق:** جـ٢، ص٢٥٨.

١٠٠-**المصدر السابق:** جـ٣، ص٣٠٨.

١٠١-**المصدر السابق:** جـ٣، ص٣٠٨.

١٠٢- **إمام حنفي:** الآراء الكلامية والصوفية، جـ١، ص١٨٨.

١٠٣- **القشيري**: التحبير في التذكير، ص٣٤.

١٠٤- **إمام حنفي**: الآراء الكلامية والصوفية، جـ١، ص١٨٩.

١٠٥- **الغزالي**: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق محمد مصطفي أبو العلا، مكتبة الجندي، بدون تاريخ، ص٨٤.

١٠٦-**القشيري**: الرسالة القشيريه، صـ١٣١.

١٠٧-**المصدر السابق**: صـ١٣٧.

١٠٨-**القشيري**: لطائف الإشارات، جـ١، صـ٥٩٠.

١٠٩-**المصدر السابق**: جـ١، صـ١٠٠.

١١٠-**القشيري**: الرسالة القشيريه، صـ٢٤٩ وأنظر الطوسي: اللمع، صـ٦٢-٦٣.

١١١-**أحمد محمود الجزار**: الفناء والحب الإلهي، صـ٢١١،٢١٢.

١١٢-**المصدر السابق**: صـ٢٥٣-٢٥٤.

١١٣-**القشيري**: لطائف الإشارات، جـ٣،صـ٤٤٤.

١١٤-**المصدر السابق**: جـ٣، صـ١٩٨.

١١٥-**الطوسي**: اللمع، صـ٦٢.

١١٦-**القشيري**: لطائف الإشارات، جـ٢، صـ٢٥٣.

١١٧-**المصدر السابق**:جـ٢، صـ٢٩٥.

١١٨-**الغزالي**: المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسني، مكتبه الفجر الجديد ٢٠٠٦م، صـ١٠٦.

١١٩- **الطوسي**: اللمع، ص٣٧.

١٢٠- **أبو الوفا التفتازاني**: مدخل إلي التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة ١٩٧٤م، ص١٧٧-١٧٨.

١٢١- **الهجويري**: كشف المحجوب، جـ١، ص٣٣٩.

١٢٢- **إمام حنفي**: الأراء الكلامية والصوفيه، جـ١، ص٢٦٠.

١٢٣- **القشيري**: لطائف الإشارات، جـ١، ص٢٦٩، ص٣٦٢، جـ٣، ص٣٥٧.

١٢٤- **أبو الوفا التفتازاني**: دراسات في الفلسفة الإسلامية، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٧م، ص١٥٤-١٥٥.